

تاريخ الجامع الأزهر

د. احمد محمد سويدان

1 - لمحة تاريخية :

اعتبر الجامع الأزهر من غرس الدولة الفاطمية، أينع ثمره، وتجددت نضرته، على كر العصور، وما زال بعد نيف وألف عام أعظم الآثار الباقية التي خلفتها الدول الإسلامية بمصر.

وكان قيام الأزهر في الوقت نفسه الذي قامت فيه الدولة الفاطمية ذاتها؛ انشئ غداة ظفرها بملك مصر، وغداة قيام القاهرة عاصمتها الجديدة، وسمي باسمها حيناً من الدهر. ثم خبا نجم الدولة الفاطمية بعد أن سطع على مدى قرنين، وذوى غصنها، وحيت آثارها المادية والمعنوية بسرعة، ولكن الأزهر نجا من عواقب المحنة، واستطاع أن يخرج من عُمر الانقلاب بعد فترة من الإعراض والركود سليماً قوياً، وأن يتابع حياته الطويلة، غير حافل بما يعترضه من الصعاب والعثرات.

لقد عرفت مصر قبل قيام الجامع الأزهر ثلاثة مساجد جامعة، هي المسجد الجامع أو جامع عمرو⁽¹⁾، فجائع العسكر، ثم جامع ابن طولون، أو بعبارة أخرى كانت كل قاعدة من هذه القواعد الإسلامية المتعاقبة تزود عند قيامها بمسجدها الجامع أو جامعها الرسمي الخاص.

هذه الظاهرة كانت معروفة في خطط التواعد الإسلامية الأولى ولم يكن اتباعها وليد المصادفة، بل كان أثراً من آثار السياسة الموضوعية لإنشاء الأمصار الإسلامية في البلاد المفتوحة، وهي سياسة ترجع إلى عصر عمر ذاته، كتب بها عمر إلى الولاة ومنهم عمرو بن العاص فاتح مصر وأول ولايتها، بأن يتخذوا في كل مدينة مسجداً للجماعة⁽²⁾.

واتبعت هذه السياسة في خطط القواعد الإسلامية الأولى، مثل البصرة والكوفة ومدن الشام والفسطاط. فحيثما تقوم العاصمة الإسلامية الجديدة يقوم في وسطها المسجد الجامع، وتقام من حوله خطط القبائل المختلفة. وكانت هذه المساجد الجامعة تحمل منذ البداية طابعاً رسمياً، وكما أن العواصم الإسلامية الجديدة كانت تعتبر

رمزاً لظفر الاسلام، فكذلك المساجد الجامعة كانت تعتبر رمزاً لسيادة الاسلام الروحية، ومنبراً للدين الجديد والرسالة الجديدة.

بالإضافة إلى ذلك، فقد كان المسجد الجامع مركزاً لصلاة الجماعة، ومركز الدعوات والخطب والمجالس الرسمية، وبه يعقد ديوان الخراج، وكان مركز القضاء الأعلى يجلس به قاضي القضاة يومين في كل أسبوع، وتتل في الأوامر والمنشورات والسجلات، واستمر ذلك عصوراً متوالية⁽³⁾.

ثم غدا المسجد الجامع بمضي الزمن وظروف العصر أيضاً مركز الحلقات العلمية والأدبية، وأضحت هذه الصفة الجامعية من بعض مهامه وصفاته وكانت حلقاته إلى جانب الحلقات الخاصة، أشهر المجتمعات العلمية والأدبية العامة. وقد لبثت ساحاته مدى عصور ندوة فكرية أدبية جامعة، وفيها كانت توجه حركة التفكير والآداب في مصر الاسلامية.

بل هنالك ما يدل على أن المسجد الجامع كان يقوم بمهمته الجامعية في دراسة الفقه بطريقة منظمة، فقد انشئت به منذ أوائل القرن الثالث عدّة زوايا يدرس بها الفقه على مختلف المذاهب، ولكل زاوية أستاذ يجرى عليه الرزق، وكان منها الزاوية الشهيرة التي تنسب للإمام الشافعي، واستمرت هذه الزوايا عصوراً، واستمر المسجد الجامع قائماً بمهامه العلمية حتى قيل إن حلقاته بلغت في منتصف القرن الثالث زهاء خمسين⁽⁴⁾.

2- تأسيس الجامع الأزهر وتسميته :

شرح جوهر الصّقلي - قائد الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله - في إنشاء الجامع الأزهر في 24 جمادى الأولى 359هـ / 4 إبريل 970م، وتم تشييده وبدأت الصلاة فيه ظهر يوم من أيام رمضان 361هـ / يونيو- يوليو 972م⁽⁵⁾. وقد استمر بناء الجامع الأزهر في عامين وثلاثة أشهر. وكانت الحكمة واضحة في إنشاء المسجد الجديد، بل كانت أشد وضوحاً في المقصد والمغزى من أية فرصة سابقة، فقد كانت الدولة الفاطمية دولة الإمامة الشيعية، وكان الجامع الأزهر أول مسجد أقامته الشيعة بمصر. ومن ثم فقد كان قيامه رمزاً لسيادة دعوة دينية جديدة هي الدعوة الشيعية، كما كانت القاهرة المعزية رمزاً لظفر الدولة الجديدة وسيادتها.

وسمي المسجد الجديد بجامع القاهرة باسم العاصمة الجديدة. وأما تسميته بالجامع الأزهر فالظاهر أنها لم تحدث إلا في تاريخ متأخر. بل هناك ما يدل على أن التسمية الأولى أعني جامع القاهرة هي التسمية التي كانت تغلب عليه طوال العصر الفاطمي.

ذلك أن معظم مؤرخي هذا العصر، وفي مقدمتهم المسجي وابن الطوير وابن المأمون، يذكرونه دائماً باسم جامع القاهرة، وقلما يشيرون إليه باسم الجامع الأزهر. وحتى في العصور المتأخرة حتى القرن الثامن الهجري، نرى هذا الاسم أي جامع القاهرة يطلق عليه في كثير من المواطن إلى جانب اسمه الآخر أي الجامع الأزهر.

والظاهر أن الجامع الأزهر أطلق عليه بعد إنشاء القصور الفاطمية في عصر العزيز بالله، فقد كان يطلق عليها اسم القصور الزاهرة، ومنها أطلق على جامع القاهرة وهو مسجد الدولة الرسمي اسم الجامع الأزهر.

وأما أصل التسمية فالظاهر أنها ترجع إلى اسم السيدة فاطمة الزهراء ابنة رسول الله وزوج أمير المؤمنين علي

ابن أبي طالب، وهي التي يرجع الفاطميون نسبتهم إليها. وعلى أي حال فقد استمر مسجد القاهرة الجامع، يعرف بهذين الاسمين حتى عصر متأخر، وحتى في عصر المقرئ صاحب الخطط أعني في أوائل القرن التاسع نراه يعرف بالاسمين؛ ثم تقلص الاسم القديم أعني جامع القاهرة شيئاً فشيئاً وغلب عليه اسم الجامع الأزهر أو جامع الأزهر حتى عصرنا⁽⁶⁾.

3 - وصف الجامع الأزهر:

كان حجم الجامع الأزهر إذ ذاك نصف حجمه اليوم. ومنذ تلك الصلاة في أيام رمضان أصبح هذا المسجد جزءاً من تاريخ مصر، ومواطناً مصرياً ساير ذلك التاريخ يوماً بيوم بحيث نستطيع أن نؤرخ لمصر بتتبع تاريخ الأزهر، فندر أن وقع في مصر حادث له شأن إلا وكانت في الأزهر بدايته أو منتهاه، وإذا دخلت الجامع اليوم من بابيه الكبيرين المتجاورين - المعروفين ببابي المزينين - في ميدان الأزهر وطففت بأرجاء الجامع حتى تخرج من باب الجوهري في الضلع الشمالي للجامع الذي يفتح على شارع الشنواني خلف المسجد، فإنك تكون قد مررت بألف سنة من تاريخ مصر.

وما زال الجامع الأزهر يحتل الموقع الذي أقيم فيه منذ ألف عام، وما زالت فيه بقية من المنشآت والنقوش الفاطمية الأولى تحتل مكانها الأول داخل الصرح القائم، ومن ذلك القبة التي برأس المجاز وهي ترجع إلى عصر الخليفة الحافظ لدين الله، وبها نقوش وكتابات كوفية جميلة؛ وكذلك توجد بعض كتابات وزخارف ترجع إلى عصر الحاكم بأمر الله، كما توجد زخارف وكتابات فاطمية حول الشبايك الجصية التي بالجانب الشرقي، والجانبين القبلي والبحري.

وكان الجامع الأزهر وقت إنشائه يتوسط العاصمة الفاطمية الجديدة، على النحو الذي كان متبعاً في إنشاء القواعد الإسلامية الأولى، ويقع على مقربة من القصر الفاطمي الكبير المسمى بالقصر الشرقي. هذا وقد حرص عدد كبير من الخلفاء والسلاطين والأمراء ومشايخ الأزهر على ترميم الجامع الأزهر وإصلاحه والاضافة إليه، لأن هذا الجامع سجل حافل لتاريخ مصر السياسي والعلمي، فكما تقرأ في تاريخه أسماء المعز لدين الله الفاطمي والعزیز والحاكم الفاطميين وصالح الدين الأيوبي والظاهر بيبرس وسيف الدين لاجين وبرقوق وغيرهم من سلاطين الماليك، ومحمد علي وعباس حلمي ومن اليهما من الحكام الذين تعاقبوا على حكم مصر خلال عشرات القرون الماضية، فأنتم تمر في تاريخه بأسماء نفر كبير من أقطاب التاريخ الفكري لمصر والعالم الإسلامي خلال تلك القرون.

ولم يحظ جامع آخر من جوامع مصر التاريخية بمثل ما حظي به الأزهر من رعاية، وقد يرجع أكبر الفضل في ذلك إلى ما يتمتع به الأزهر من الصفات العلمية إلى جانب صيغته الدينية، وما زال الجامع الأزهر بفضل هذه الرعاية المستمرة، يحتفظ بفخامته ورونقه وجدته بالرغم من عمره الألفي.

والإضافات مجموعة من الابنية، ما بين اروقة جديدة ومدارس ومحاريب وميضات. وقد فقد الجامع - نتيجة هذه الزيادات والتعديلات - هيئته الأصلية ووحدته الفنية، ولهذا فالجامع الأزهر - اليوم - شبيه بمعرض

واسع للفن الاسلامي في مصر، من بداية العصر الفاطمي إلى اليوم⁽⁷⁾.

وإذا دخل الانسان من باب المزينين - وهو الباب الرئيسي للجامع، ويقع في ميدان الأزهر - سار في ممر طويل، فعلى يمينه مبنى المدرسة الاقباقوية، التي بناها الامير المملوكي علاء الدين أقبغا عبد الواحد سنة 470-1339 في جزء من ساحة الأزهر وجعلها ملحقة به. وهذا الأمير كان من أكبر من اهتموا بعمارة الأزهر، فقد أنشأ لمدرسته تلك بيت صلاة وقبة ومنارة، ويقول المقرئ أن هذه المدرسة من أشد المدارس ظلاماً في داخلها لأن الأمير الذي بناها فعل ذلك بأموال اغتصبت من الناس وسخر العمال في بنائها. وكان أقبغا هذا مُقَدِّم المماليك في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون، وقد استعملت هذه المدرسة - إلى حين قريب - مكتبة للأزهر.

وعلى يسار الممر يقوم مبنى المدرسة الطيرسية القديمة، نسبة إلى الأمير علاء الدين طيرس الخازندار نقيب الجيوش بمصر في دولة الناصر محمد بن قلاوون، وقد بنيت قبل المدرسة الأقباقوية في سنة 719-1319، وكان طيرس على خلاف أقبغا أميراً صالحاً، وقد بنى هذه المدرسة وجعلها مسجداً في الوقت نفسه، وتأنق في بنائها وأنفق مالاً جزيلاً في إتقانها وزخرفتها، وكان مبنى هذه المدرسة من الداخل قطعة من الفن الاسلامي في أحسن صورة، ولكنها اتخذت في سنة 1314-1896 ملحقةً لمكتبة الأزهر فضاع الكثير من الأعمال الفنية فيها.

فاذا فرغ الزائر من ذلك الممر بين المدرستين أفضى الى صحن الجامع، وهو صحن فسيح يحيط به البوئات من كل جهاته، وهذا الصحن قبل الجامع القديم، يليه بيت الصلاة الذي ينتهي بجدار القبلة القديم، تليه بعد ذلك زيادة عبد الرحمن كتخدا وكان من كبار أجراء المماليك في مصر العثمانية. ولا شك في أنه أكبر من اهتم بمبنى الجامع الأزهر على طول العصور الماضية.

فقد قام هذا الرجل في سنة 1167-1753 بترميم مباني الأزهر وأضاف إليه زيادة كبيرة شمال بيت الصلاة الأصلي، وتبلغ هذه الزيادة أكثر من نصف حجم الجامع الأصلي، وهي بيت صلاة كامل بقبلة ومحرابه يقوم على خمسين عموداً، يقوم عليها خمسون عقداً من نفس طراز عقود الأزهر الأصلية، وأنشأ في جدار القبلة الحديد محراباً بديعاً، ورفع قبة جميلة فوق بلاطة المحراب، وصنع لهذه الزيادة منبراً بديع الصنع، وإلى جوار المحراب يقوم محراب أصغر منه يسمى بمحراب الدردير، ثم محراب آخر حديث الصنع. وبهذه الزيادة أصبح بيت صلاة الأزهر من أكبر بيوت الصلاة في مساجد مصر.

وانشأ - فيما يلي هذه الزيادة إلى الشمال - مبنى واسعاً له باب كبير يؤدي إلى حارة كتانة، وهذا الباب هو المشهور اليوم باسم باب الصعايدة، وهو باب فخم جميل أنشأه عبد الرحمن كتخدا بأعلاء غرفة تقوم على أعمدة رخامية خصصها لتحفيظ الصبيان القرآن، وداخل الرحبة أقام كتخدا ضريحه وصهريجاً وسبيل ماء، وفوق ضريحه تقوم قبة صغيرة. وانشأ الى باب الصعايدة المئذنة المنسوبة اليه. وإليه يرجع الفضل في إنشاء الباب الرئيسي للأزهر، وهو المعروف الآن بباب المزينين.

وللأزهر اليوم خمس مآذن مختلفة الطرز، لأنها بنيت في عصور متفاوتة، منها اثنتان من إنشاء عبد الرحمن

كتخذها، وواحدة تنسب إلى السلطان قايتباي، وواحدة تنسب إلى السلطان الغوري، ومثدنة قايتباي ذات جوسقين وعمامتين، وهي أكبر مآذن الأزهر.

وكان للجامع ثلاثة عشر محراباً، بقي منها ستة، أقدمها محراب إيوان القبلة القديمة عند جدار المسجد الأول. وهذه المحارب تتفاوت في الجمال وإتقان الصنعة، ولكن ليس فيها واحد يضارع محارب مسجد المؤيد مثلاً.

وللأزهر ثلاث قباب، أجملها وأكبرها تلك التي تقوم فوق المدرسة الجوهريّة الملحقة بالأزهر، وتقوم على رقبة ذات شمسات ثم عقود مدببة مزينة من الخارج بنقوش عربية غاية في الجمال.

4 - البداية الجامعية للجامع الأزهر:

منذ نحو ألف عام يتمتع الأزهر بصفته الجامعية، وقد عرفته الأجيال المتعاقبة دائماً معهداً للقراءة والدرس، كما عرفته دائماً مسجداً جامعاً.

والجامع الأزهر لم ينشأ في الأصل ليكون جامعة أو معهداً للدرس، وإنما أنشئ ليكون مسجداً رسمياً للدولة الفاطمية في حاضرتها الجديدة، ومنبراً لدعوتها الدينية، ورمزاً لسيادتها الروحية.

بيد أن هذه الصفة المذهبية الرسمية التي اسبغت على الجامع الأزهر منذ إنشائه، لم تكن لتحول دون اتسامه فيما بعد بالسمة الجامعية، فإن المدرسة لم تكن قد وجدت بعد في مصر الإسلامية، وكانت المساجد الجامعة تقوم برسالتها العلمية إلى جانب رسالتها الدينية، وكان جامع عمرو، أول المساجد الجامعة في مصر، هو أيضاً أول معهد قام فيها للدرس والقراءة، وكانت هذه التقاليد الجامعية قد غدت صفة لازمة للمساجد الجامعة لا في مصر وحدها ولكن في المشرق، في بغداد، في الاندلس، في قرطبة وأشبيلية وغيرها، حيث كانت المساجد الجامعة تؤدي رسالتها العلمية. ولما أنشئ الأزهر لأول أمره مسجداً جامعاً للعاصمة الفاطمية الجديدة، كان الجامع العتيق (جامع عمرو) بحلقاته الدراسية مثلاً قائماً، يمكن أن ينسج على منواله.

والواقع أن فكرة الدراسة بالأزهر، كانت حدثاً عارضاً ترتب على فكرة الدعوة المذهبية، وغلب الحدث العارض شيئاً فشيئاً على صفته الأولى حتى أسبغ عليه ثوبه الجامعي الخالد.

ففي صفر سنة 365 هـ / 975م في أواخر عهد المعز لدين الله، جلس قاضي القضاة أبو الحسن علي بن النعمان القيرواني بالجامع الأزهر وقرأ مختصر أبيه في فقه آل البيت (فقه الشيعة) وهو المسمى بكتاب الاختصار في جمع حافل من العلماء والكبراء، وأثبت أسماء الحاضرين، فكانت هذه أول حلقة للدرس بالجامع الأزهر. ثم توالى حلقات بني النعمان بالأزهر بعد ذلك.

ثم حدث في رمضان سنة 369 هـ 980م أن جلس يعقوب بن كلس وزير المعز لدين الله بالجامع الأزهر وقرأ على الناس كتاباً ألفه في الفقه الشيعي على مذهب الإسماعيلية. وكانت مجالس ابن كلس في الواقع أول مجالس جامعية حقيقية عقدت بالجامع الأزهر، وكانت تمتاز عن مجالس بني النعمان بتحررها من القيود الرسمية، واتجاهها نحو الغايات العلمية قبل اتجاهها نحو المثل المذهبية.

ففي سنة 378 هـ / 988م، استأذن ابن كلس الخليفة العزيز بالله في أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس يحضرون مجلسه ويلازمونه، ويعقدون مجالسهم بالأزهر في كل جمعة من بعد الصلاة حتى العصر؛ وكان عددهم سبعة وثلاثين فقيهاً ورئيسهم ومنظم حلقتهم الفقيه أبو يعقوب قاضي الخندق، وكان جل حديثهم في الفقه وما إليه. ورتب لهم العزيز أرزاقاً وجرايات شهرية حسنة، وأنشأ لهم داراً للسكن بجوار الأزهر، وخلع عليهم في يوم عيد الفطر وحملهم على بغلات تشريفاً لهم وتكريماً، وأجرى عليهم ابن كلس أيضاً أرزاقاً من ماله الخاص⁽⁸⁾.

وهنا نجد أنفسنا أمام حدث جامعي حقيقي، فقد كان أولئك الفقهاء الذين رتبهم ابن كلس للقراءة والدرس بالأزهر وأقرهم العزيز بالله، أول فوج من الاساتذة الرسميين الذين عينوا بالجامع الأزهر، وأجرت عليهم الدولة أرزاقاً ثابتة، وباشروا مهمتهم العلمية تحت إشراف الدولة بطريقة منظمة مستقرة. من هنا بدأ الأزهر يكتسب صفته العلمية الحقيقية لأول مرة كمعهد للدراسة المنظمة وأنه بدأ حياته الجامعية الحافلة المديدة.

5 - أهم الاساتذة الاعلام الذين تولوا التدريس في الأزهر:

أ - في العهد الفاطمي:

وأول الاساتذة الذين تولوا التدريس في الأزهر هو القاضي أبو الحسن بن النعمان بن محمد المتوفى سنة 374-984، وهو ابن داعي الدعوة الفقيه الاسماعيلي المتضلع النعمان بن محمد المتوفى سنة 363-974. وكان أبو الحسن فقيهاً اسماعيلياً وأديباً كآبيه، وكذلك كان اخوه القاضي محمد بن النعمان بن محمد المتوفى سنة 389-999. ومن اعلام من درسوا في الأزهر في العصر الفاطمي الامير المختار عبد الملك محمد بن عبد الله بن أحمد الحارثي المعروف بالمسجي المؤرخ (366-420/976-1029)، وأبو عبد الله القاضي المؤرخ المعروف وهو أول من كتب في خطط مصر، وعنه اخذ تقي الدين المقرئ، والحسن بن زولاق المؤرخ الذي احتفظ لنا علي بن سعيد بكتابه عن الدولة الإخشيدية، وأبو القاسم الرعيني الشاطبي الضرير عالم القراءات المشهور. ودرس في الأزهر من علماء الرياضيات في ذلك العصر الحسن بن الخطير الفارسي، ونذكر كذلك أبا العباس أحمد بن هاشم المصري وقد كان من كبار المحدثين والمقرئين، واشتهر بتدريس علم القراءات وتوفي سنة 445 هـ. ومنهم ابن بابشاذ النحوي الشهير وهو أبو الحسن طاهر بن أحمد المصري المعروف بأبن بابشاذ، كان إمام عصره في اللغة والنحو، وألّف فيها عدة كتب ضخمة وتوفي سنة 469 هـ. ومنهم أبو عبد الله محمد بن بركات النحوي تلميذ القاضي، كان أيضاً من أئمة اللغة والنحو وتوفي سنة 502 هـ.

كان للأزهر بلا ريب أثره في توجيه الحياة العقلية المصرية في العصر الفاطمي. بيد أن هذا الأثر كان محدوداً خصوصاً منذ قيام دار الحكمة جامعة الدولة الرسمية، وتبوئها مقام الزعامة في توجيه الحركة الفكرية. وقد كان أثر الأزهر أقوى وأشدّ ظهوراً في نشر العلوم الدينية، وتخرج علماء الدين إذ كان كما قلنا موئلاً للثقافة الدينية، بينما كانت دار الحكمة موئلاً للثقافة المدنية.

وعلى أي حال فإن مؤرخ الآداب العربية لا يسعه إلا أن ينوه بما كان للأزهر من أثر في سير الحركة الفكرية أيام الدولة الفاطمية وسائر العهود الأخرى حتى بلغ مرحلة بالغة الأهمية من التقدم والازدهار.

ب - في العهد الأيوبي :

نرى الجامع الأزهر مقصد علماء بارزين مثل عبد اللطيف البغدادي الذي وفد على مصر في سنة 589 هـ أيام الملك العزيز والدة السلطان صلاح الدين، وتولى التدريس بالأزهر بضعة أعوام حتى وفاة الملك العزيز في سنة 595 هـ . وكان يلقي دروسه في الكلام والبيان والمنطق، وربما ألقى في الوقت نفسه بعض دروسه الطبية في حلقات خاصة . وهنالك ما يدل أيضاً على أن العلامة والطبيب اليهودي موسى بن ميمون الذي وفد على مصر في هذا الوقت، وخدم طبيباً خاصاً في بلاط السلطان صلاح الدين، كان أيضاً يلقي بالأزهر بعض دروسه في الرياضة والفلك، وربما في الطب أيضاً . وقد اتصل به يومئذ عبد اللطيف البغدادي ودرس عليه⁽⁹⁾.

ونراه في أواخر العصر الأيوبي وأوائل القرن السابع الهجري، مسرحاً لنشاط جمهرة من أعلام هذا العصر، فمنهم العلامة والشاعر الصوفي المصري الشيخ شرف الدين عمر ابن الفارض المتوفى سنة 632 هـ وقد لبث حيناً يقيم بالجامع الأزهر ويعقد فيه حلقاته الصوفية والروحية⁽¹⁰⁾ ومنهم الشيخ أبو القاسم المنفلوطي، والشيخ شمس الدين الأتابكي، والمحدث سعد الدين الحارثي الخنبلي، والشيخ جمال الدين الأسيوطي، والشيخ شهاب الدين السهروردي⁽¹¹⁾، وكان منهم أيضاً العلامة المؤرخ شمس الدين بن خلكان صاحب «وفيات الأعيان» المتوفى سنة 680 هـ، وقد وفد على القاهرة في سنة 637 هـ وأقام بها حيناً، وألقى دروسه بالجامع الأزهر⁽¹²⁾.

ونذكر من أكابر العلماء الذين كانوا يتولون التدريس بالجامع الأزهر في أوائل القرن الثامن الهجري، فاتحة هذا القرن الإمام علي بن يوسف بن جرير اللخمي الشنطوفي شيخ الإقراء في عصره، تصدر للإقراء في الأزهر وأقبل عليه الطلاب إقبالاً عظيماً، فذاع صيته في أنحاء العالم الاسلامي⁽¹³⁾. ومنهم عدة ذكرهم لنا الرحالة ابن بطوطة الذي وفد على مصر سنة 726 هـ وزار الجامع الأزهر، وتعرف بعلمائه ومنهم قوام الدين الكرمانى، وكان يسكن بأعلى سطح الجامع، وله جماعة من الفقهاء والقراء يلازمونه وشمس الدين الأصبهاني «إمام الدنيا في المعقولات» وشرف الدين الزاوي المالكي⁽¹⁴⁾.

وكان بمصر في هذا الوقت بالذات العلامة الأندلسي اللغوي النحوي الكبير، محمد بن يوسف بن حيان النفزي الفرناطي يلقي دروسه بالجامع الأزهر، وكان من تلاميذه العلامة والفيقه المصري تقي الدين أبو الحسن السبكي.

ونستطيع أن نذكر من الاساتذة الذين تولوا التدريس بالأزهر في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجري، قنبر بن عبد الله الشرواني، وكان عالماً فيلسوفاً يدرس العلوم العقلية مثل المنطق والحكمة والهيئة، وكان مقبياً بالجامع الأزهر نفسه⁽¹⁵⁾. وابن الدماميني إمام النحو في عصره، وقد توفي سنة 827 هـ⁽¹⁶⁾. والفخر

البليبي الضيرير أستاذ القراءات وإمام الأزهر، والمؤرخ تقي الدين المقرئزي والعلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني، وقد تولى خطابة الأزهر في أواخر حياته مدى حين⁽¹⁷⁾.

ج - عصر الأزهر الذهبي:

كان القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) بالنسبة لمصر الإسلامية عصر ذروة النهضة الأدبية والعلمية، ففيه بلغت المدينة المصرية في ظل دولة السلاطين أقصى مراحل التقدم والازدهار، وحفلت مصر في تلك الحقبة الطويلة بجمهرة من أعظم علمائها وكتّابها مثل الحافظ ابن حجر العسقلاني، وأبي العباس القلقشندي صاحب الموسوعة الدبلوماسية الكبرى المسماة «صبح الاعشى» ومؤرخ مصر الكبير تقي الدين المقرئزي صاحب «الخطط» الشهيرة، وابن تغري بردي صاحب «النجوم الزاهرة»، وبدر الدين العيني، وسراج الدين البلقيني، وشرف الدين المناوي، وشمس الدين السخاوي صاحب «الضوء اللامع»، وجلال الدين السيوطي وغيرهم من أقطاب التفكير والكتابة في هذا العصر.

وكان من أشهر العلماء، الذين وفدوا على مصر في ذلك العصر، واشتركوا في حلقات الأزهر بقسط بارز العلامة الفيلسوف المؤرخ ولي الدين ابن خلدون. وهو يشير إلى ذلك في التعريف بقوله: «وانشال على طلبه العلم بها (أي بالقاهرة) يلتمسون الإفادة مع قلة البضاعة، ولم يوسعوني عذراً، فجلست للتدريس بالجامع الأزهر بها»⁽¹⁸⁾. وقد كان يدرّس الحديث والفقه المالكي، ويشرح للخاصة من تلاميذه أمثال ابن حجر العسقلاني، والقلقشندي، والمقرئزي، نظرياته في العمران والعصبة، وأسس الملك، ونشأة الدول وغيرها مما عرض إليه في مقدمته الشهيرة.

ووفد على مصر بعد ابن خلدون، العلامة المغربي محمد تقي الدين الفاسي، المتوفى سنة 842 هـ، ودرّس كذلك بالجامع الأزهر، وكان ممن سمع عليه وأخذ عنه العلامة ابن حجر.

ونستطيع أن نصف هذا العصر، بأنه عصر الأزهر الذهبي سواء من حيث مكانته العلمية، أو إنتاجه الفكري. ذلك أنه لم يجتمع في عصر سابق، من تاريخ مصر الإسلامية مثل هذه الجمهرة الممتازة من العلماء والأدباء في كل علم وفن، ولم يصدر مثل هذه الثروة الفكرية الضخمة التي تمتاز كذلك بتنوعها، وطرافة الكثير من عناصرها، وقد كان بين أقطابها كثير من علماء الأزهر، أساتذة وتلاميذ. ويكفي أن نستعرض موسوعة السخاوي الأدبية الكبرى «الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع»، لنرى إلى أي حد وصل الافتتان الأدبي والنقدي في التراجم الإسلامية، في هذا العصر، أو أن نستعرض المساجلات الأدبية العنيفة، التي وقعت بين البقاعي والسيوطي، والبقاعي والسخاوي من ناحية، وبين السيوطي والسخاوي من ناحية أخرى، لنندرك أن هذه المعارك القلمية العنيفة التي نشبت بين أولئك الكتّاب والعلماء الأعلام، كانت عنوان نهضة أدبية زاهرة، من أسطع وأقوى ما عرفت مصر الإسلامية.

د - في العصر التركي :

كان الأزهر قبل الفتح العثماني يتمتع بشهرة علمية ودينية راسخة في البلاد العثمانية، وقد وفد عليه ودرس فيه، جبهة من أكابر العلماء العثمانيين، مثل شمس الدين الفناري الذي وفد على مصر في أواخر القرن الثامن الهجري، وكان تلميذاً وزميلاً للحافظ ابن حجر، ويعقوب بن إدريس والعلامة الأشهر محيي الدين الكافيةجي المتوفى سنة 879 هـ، وقد درّس ثم تولى التدريس بالجامع الأزهر وغيره من المعاهد، وكان شيخاً للسيوطي وغيره من الأعلام المصريين، وكان يدرّس المعاني والبيان والمنطق والفلسفة، والمولى أحمد بن اسماعيل الكوراني المتوفى سنة 893 هـ وقد درّس الحديث والتفسير، على ابن حجر وغيره من أقطاب العلماء المصريين، وغير هؤلاء من اعلام الترك الذين برعوا في العلوم العربية والاسلامية، ونهلوا من تراث مصر العلمي والديني وحملوه إلى بلادهم.

وكان من أعلام الاساتذة الذين تولوا التدريس بالجامع الأزهر في أوائل العهد التركي، نور الدين علي البحيري المتوفى سنة 944 هـ، والعلامة شهاب الدين ابن عبد الحق السنباطي المتوفى سنة 950 هـ، وعبد الرحمن المناوي المتوفى سنة 950 هـ، والإمام شمس الدين ابو عبد الله العلقمي المتوفى سنة 962 هـ. والعلامة أحمد الشويري، وشهاب الدين القليوبي وأبو الضياء الشبراملسي، وشمس الدين البابلي وسلطان المزاحي، ثم العلامة شمس الدين العناني والعلامة الأرمنائي وكان يتصدر للإقراء بالأزهر في فنون عديدة والشيخ محمد الخرشبي المالكي شيخ الجامع الأزهر المتوفى سنة 1101 هـ، والعلامة شمس الدين محمد بن محمد الشهير بالشربابلي المتوفى سنة 1102 هـ. ويصفه الجبرتي بـشيخ مشايخ الأزهر في عصره، والإمام العلامة إبراهيم بن محمد بن شهاب الدين البرماوي المتوفى سنة 1106 هـ وكان شيخاً للجامع الأزهر وكثيرون غيرهم. وكان من أبرز من زاره في أوائل القرن الحادي عشر علامة المغرب الكبير شهاب الدين المقرئ وكان يلازم الجلوس والتدريس بالجامع الأزهر، ويلقي معظم دروسه في الحديث، وكان من آثار إقامته بمصر أن كتب كتابين شهيرين وهما: «نفع الطيب» و«أزهار الرياض».

وقد أورد لنا الجبرتي المؤرخ، أسماء طائفة كبيرة من العلماء الذين اضطلعتوا بمهمة التدريس بالأزهر في أواخر العهد التركي، ومنهم العلامة اللغوي الشاعر الشيخ حسن البدري الحجازي المتوفى سنة 1131 هـ، والعلامة عبد الرؤوف بن عبد اللطيف البشبيشي المتوفى سنة 1143 هـ. وكان من أساتذة عصره في النحو والمعاني، ويصفه الجبرتي بأنه «خاتمة محققي العلماء»، وأحمد بن عيسى العمراوي المالكي، وكان من علماء الحديث، والشيخ الفقيه محمد بن أحمد الحنفي المتوفى سنة 1170 هـ؛ والشيخ حسن بن علي بن أحمد الشافعي الشهير بالمدايني كان من أشهر أساتذة الأزهر في عصره، والعلامة الفقيه الرياضي الشيخ حسين المحلي الشافعي، وكان وحيد عصره في الفقه والأصول والعلوم الرياضية، والفقيه الشيخ حسن بن نور الدين المقدسي الحنفي المتوفى سنة 1182 هـ، وكان من أشهر فقهاء المذهب ومدرسيه. وكان من أشهر العلماء الوافدين على مصر وازهرها في أواخر القرن الثاني عشر العلامة اللغوي الكبير محمد بن عبد الرازق، الشهير بمترضى الحسيني

الزبيدي شارح القاموس المسمى «تاج العروس من جواهر القاموس»، وتلقى عنه الكثيرون من علماء مصر ومنهم الجبرتي صاحب التاريخ، ويخصص الجبرتي لشيخه الزبيدي ترجمة حافلة يشيد فيها بخلاله ومناقبه⁽¹⁹⁾. والعلامة المغربي ابو عبد الله محمد بن سودة الفاسي، عقد له درساً حافلاً بالجامع الأزهر، برواق المغاربة وكان يلقي دروسه في الفقه المالكي في جموع حاشدة من الطلاب والمستمعين.

وهناك ما يدل على نظام المعيدين الذي كان معروفاً بالأزهر منذ العصور الوسطى، كان ما يزال قائماً في هذا العصر، وكان لكثير من أكابر الأساتذة، معيدون من المدرسين يقومون بشرح دروسهم⁽²⁰⁾. ونحن نعرف أن هذا التقليد القديم، ما زال متبعاً في النظام الجامعي الحديث.

هـ - الأزهر وقت الاحتلال الفرنسي :

ونذكر من أكابر العلماء في هذه الفترة الشيخ عبد الله الشرقاوي الذي درس بالأزهر وبرع في الفقه والأصول والنحو. ولما توفي الشيخ أحمد العروسي شيخ الجامع في سنة 1208 هـ تولى المشيخة مكانه، فعلت مكانته، وزاد نفوذه واشتهر يومئذ حسبما يلاحظ الجبرتي بعمامته الكبيرة التي «كان يضرب بعظمها المثل». وله مؤلفات كثيرة في العقائد والأصول والنحو، وكتاب في طبقات الشافعية، وموجز في تاريخ مصر حتى عصره عنوانه: «تحفة الناظرين». والشيخ مصطفى بن أحمد المعروف بالصاوي كان من أكابر العلماء والمدرسين بالجامع الأزهر، وقد اشتهر بنوع خاص ببراعته في النثر والنظم، ويصفه الجبرتي «بالناظم النائر الفصيح الباهر». ويورد لنا مختارات من شعره، وقد توفي في سنة 1216 هـ. والشيخ مصطفى الدمنهوري الشافعي تلميذ الشيخ الشرقاوي وصديقه الحميم، وكان أديباً بارعاً في النثر. والشيخ محمد المهدي الحفني، وكان يدرس بالأخص شروح الألفية، واشتهر بفصاحته وحسن بيانه فذاع صيته، والشيخ محمد بن محمد بن أحمد السبأوي المالكي الشهير بمحمد الأمير وقد كان من أكابر علماء الأزهر ومدرسيه وكان يمتاز بتضلعه في علوم الهيئة الهندسية هذا إلى براعته في العلوم الشرعية واللغوية. والشيخ موسى السري الشافعي وكان بارعاً في الفقه والأصول والنحو والمنطق، واشتهرت حلقاته بالأزهر، وكان جزلاً حسن الإلقاء، ولزم الشيخ العروسي أيام مشيخته، وكان يكتب الفتاوى عن لسانه، ويعتمده الشيخ في المسائل الغامضة، والمعضلات الفقهية وتوفي سنة 1219 هـ. والشيخ محمد بن أحمد الدواخلي الشافعي، تلميذ الشيخ عبد الله الشرقاوي وملازمه، وكان يلقي دروسه بالأزهر في الفقه والمقولات. والشيخ أحمد اللحام اليونسي المعروف بالعريشي برع في الفقه والمقولات، واشتهر ببراعته في الافتاء، فقصده الناس من كل صوب، وتولى مشيخة رواق الشوام؛ والشيخ سليمان الفيومي المالكي، كان شيخاً لرواق القيمة، وكان من أكابر العلماء المتصدرين.

ولا بد لنا من أن نذكر مؤرخ هذا العصر وواضع أسس الرواية عن مصر الحديثة العلامة عبد الرحمن الجبرتي، فقد كان من أكابر العلماء يومئذ، وتفوق في علوم الدين واللغة وكذلك في الهندسة والحساب والفلك، ثم تولى التدريس بالأزهر. وكان يلقي دروسه في الفقه والرياضة والفلك. وأهم مؤلفاته تاريخه المسمى «عجائب الآثار في التراجم والأخبار». وله أثر تاريخي آخر عنوانه «مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين»

يخصه لحوادث الاحتلال الفرنسي، وقد استخرجه من مذكراته. ونذكر من أهم العلماء والمشايع في هذا العصر أيضاً العلامة الشيخ أحمد بن عبد المنعم بن يوسف الدمنهوري، الذي برع في الفقه وأفتى على المذاهب الأربعة وولي مشيخة الجامع الأزهر في سنة 1182 هـ بعد وفاة الشيخ السجيني. وله مؤلفات عديدة في الحديث والقراءات والتوحيد.

والعلامة الفقيه المحدث النحوي البارع الشيخ حسن الكفراوي الشافعي الأزهري، وكان من أعلام مشايخ التدريس في عصره وتولى فضلاً عن التدريس بالأزهر، الإفتاء ومشيخة الشافعية بمدرسة أبي الذهب. والشيخ أحمد بن موسى العدوي المالكي وكان من أعلام الأساتذة وشرّاح الحواشي. والشيخ الفقيه المحدث سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي الشافعي وكان من أعلام عصره، وقد لبث حلقته بالأزهر دهرًا، وألف بعض شروح حواش. والشيخ محمد الخشني الشافعي وكان من أبرع أساتذة الفقه ويصفه الجبرتي «بصدر المدرسين، وعمدة المحققين». والشيخ محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي وقد برع في الفقه والمعقولات ودرس علوم الحكمة والهيئة والهندسة، وكانت يومئذٍ من العلوم النادرة بالأزهر، وكان من أعلام الأساتذة الذين تزدهم الطلاب على حلقاتهم. والشيخ مصطفى بن محمد بن يوسف الشهير بالصفوي القلعاوي الشافعي اشتهرت دروسه بالأزهر وألف كثيراً من الحواشي والشروح.

ولا بد من أن نذكر من علماء الجامع الأزهر ومدرسيه في أوائل القرن الثالث عشر السيد إسماعيل الخشاب والشيخ حسن العطار، وقد كان كلاهما صديقاً حميماً للجبرتي مؤرخ العصر.

و- الأزهر عهد محمد علي باشا.

وفي هذا العهد تم استيلاء محمد علي على أوقاف المساجد ومواردها وفي مقدمتها الجامع الأزهر. ولبث الأزهر زهاء نصف قرن في حالة عزلة وركود، بعيداً عن مجارة التيارات الثقافية الجديدة التي اتجهت إليها مصر، منذ أوائل القرن التاسع عشر، وانكمش نفوذه القديم انكماشاً ظاهراً. ولكنه أخذ منذ عصر إسماعيل يتأثر بتيار الحركة الإصلاحية الجديدة وينفض عنه غبار الركود والانكماش. وحدث في ذلك الوقت بالذات حادث كان له أثر عميق في مضاعفة وعي الأزهر وطموحه إلى مثل التحرر والتجديد ذلك هو مقدم العلامة والمصلح الكبير السيد جمال الدين الأفغاني إلى مصر واتصاله بالأزهر وطلابه. فهرع الأساتذة والطلاب إلى لقائه والاستماع إليه، وقد آنسوا سعة أفقه، وحلده ذهنه، وسمو روحه. وكان السيد يحاضرهم في العلوم الرياضية، والكلام والفلسفة بأسلوب جزل مؤثر، وكان يعقد حلقاته في داره الخاصة بخان الخليلي.

وما نود أن ننوه به في هذا السياق، هو النزعة الإصلاحية العميقة التي بثتها تعاليم السيد جمال الدين في البيئة الأزهرية، والتي كان لها أثرها - إلى جانب العوامل الأخرى التي اجتمعت يومئذٍ في إيقاظ الأزهر، ودفعه إلى محاولة التمشي مع التطورات الجديدة والمشاركة في الأحداث القومية العامة. وقد كانت حلقات السيد جمال الدين تضم نخبة من الطلاب الأزهريين الذين ظهروا في ميدان الحوادث فيما بعد، وفي طليعتهم الشيخ محمد

عبده. ولما قامت الثورة العرابية كان كثير من زعمائها المفكرين، من علماء الأزهر وطلابه، بل كان زعيمها الأول أحمد عرابي نفسه ممن تلقوا العلم في الأزهر.

6 - المناسبات الدينية والاجتماعية التي أقيمت بالأزهر:

غدا الجامع الأزهر منذ قيامه مسجد الدولة الفاطمية الرسمي، وفي يوم عيد الفطر سنة 362 هـ ركب المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بمصر، عقب مقدمه إلى عاصمة ملكه الجديد بقليل، إلى الجامع الأزهر لصلاة العيد، وألقى خطبة بليغة أبكى فيها الناس⁽²¹⁾، وكانت هذه أول صلاة رسمية يشهدها الخليفة الفاطمي بالجامع الأزهر.

واستمر الأزهر يستأثر بهذا الامتياز الرسمي في ظل الدولة الفاطمية زهاء أربعين عاماً تقام فيه الجمع الرسمية ويخطب الخليفة فيه بنفسه في جمع رمضان وفي الاعياد حتى تم إنشاء الجامع الحاكمي أو الجامع الانور في عصر الحاكم بأمر الله.

وكانت إقامة الجمعة والصلوات الرسمية الموسمية الجامعة بالأزهر من أخص المظاهر المذهبية الرسمية التي أصبغت عليها الخلافة الفاطمية بالإضافة إلى ذلك أصبح مركزاً لكثير من المظاهر والمناسبات الرسمية الأخرى. فمن ذلك أنه كان مركز المحتسب، وكان منصب المحتسب من أهم المناصب الدينية في الدولة الفاطمية، وهو الثالث عندهم بعد قاضي القضاة وداعي الدعاة، وعمله يتناول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قاعدة الحسبة، وله نواب في جميع أنحاء القطر ويجلس بالجامع الأزهر وجامع مصر يوماً بعد يوم⁽²²⁾.

ومن ذلك أنه كان مركز الاحتفال الرسمي بالمولد النبوي الكريم، ففي اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول يركب القاضي بعد العصر ومعه الشهود إلى الجامع الأزهر، ومعهم أرباب تفرقة صواني الحلوى التي أعدت بالقصر، لتفرق في أرباب الرسوم، لقاضي القضاة وداعي الدعاة وقراء الحضرة والخطباء وغيرهم، فيجلسون في الجامع مقدار قراءة الختم الكريمة ثم يعودون في موكبهم إلى القصر، ويتنظرون تحت المنظرة التي يجلس فيها الخليفة، ثم تفتح إحدى طاقات المنظرة ويبدو منها وجه الخليفة. ثم يخرج أحد الاستاذين المحنكين يده ويشير بكمه بأن الخليفة يرد عليكم السلام، ويقرأ القراء ويخطب الخطباء بترتيب معلوم، فإذا انتهى الحفل أخرج الاستاذ يده مشيراً برد السلام كما تقدم ثم تغلق الطاقتان وينصرف الناس⁽²³⁾.

وكان الاحتفال المحزن بيوم عاشوراء أو ماتم عاشوراء يقام بالجامع الأزهر قبل إنشاء المشهد الحسيني في سنة 549 هـ.

وفي ليالي الوقود الأربع وهي ليلة أول رجب، وليلة نصفه وليلة أول شعبان وليلة نصفه، كان الخليفة يقصد مساء إلى منظرة الجامع الأزهر، وكانت بجواره من الجهة القبليّة وتشرف عليه، ويجلس الخليفة في هذه المنظرة ومعه حرمه وذلك لمشاهدة الزينات المضيئة والاحتفالات الفخمة التي كانت تقام في تلك الليالي الشهيرة⁽²⁴⁾.

حتى أنه يبدو الجامع الأزهر كأنه شعلة من النور وتضاء في جوانبه وعلى حفاته المشاعل والوقدات الساطعة. لذلك كان الجامع الأزهر أيام المعز والعزیز والحاكم مركزاً لمجالس الحكمة الفاطمية. وكانت هذه المجالس

الشهرة التي رتبها الخلافة الفاطمية لبث دعوتها وتوطيد إمامتها، تتخذ صورة الدعوة الى قراءة علوم آل البيت والتفقه فيها وكان يقوم بالقاء هذه الدروس المذهبية أيام المعز بن النعمان وهم أسرة مغربية ناهية قدمت في ركاب الخليفة الفاطمي وتولت قضاء مصر زهاء نصف قرن. كما أن النساء كن يظهرن أحياناً في بعض العصور المتأخرة في حلقات الأزهر الدراسية، وقد كان من هؤلاء أم زينب، فاطمة بنت عباس المعروفة بالبغدادية التي توفيت سنة 714 هـ، وكانت فقيهة وافرة العلم وانتفع بعلمها كثير من نساء مصر ودمشق⁽²⁵⁾. وذكر الجبرتي أيضاً ما يفيد أنه كان ثمة سيدة فقيهة عمياء تحضر دروس الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الجامع الأزهر في أوائل القرن الثالث عشر الهجري.

7- الجامع الأزهر منذ عصور السلاطين حتى العصر الحاضر:

لبث الجامع الأزهر في ظل الدولة الفاطمية زهاء قرنين يتمتع بالرعاية الرسمية كمسجد للدولة، وصفته الجامعة، كمعهد للقراءة والدرس، فلما انهارت دعائم الدولة الفاطمية أيام العاضد لدين الدولة آخر الخلفاء الفاطميين وتولى صلاح الدين وزارة العاضد باسم الملك الناصر واستأثر بالأمر، عمد إلى إزالة شعائر الدولة الفاطمية وكل رسومها وآثارها المذهبية، فقطع اسم العاضد من الخطبة ودعا للخليفة العباسي فكان ذلك إيذاناً بانتشار مذهب الشافعي في مصر وأبطل إقامة الجمعة بالجامع الأزهر وأقرها بالجامع الحاكمي بحجة أنه أوسع رحاباً. كذلك أوقف صلاح الدين التدريس في الجامع الأزهر، لأن ذلك التدريس كان مرتبطاً بالمذهب الإسماعيلي الذي أبطله صلاح الدين، عندما أعاد السُّنة إلى مكانها التقليدي واتجهت همته إلى إنشاء المدارس لتقوم بتدريس الفقه السُّني، وبقي الأزهر خاملاً من الناحية العلمية حتى نهاية الدولة الأيوبية.

واستعاد الأزهر مكانته العلمية في العصر المملوكي وتحول إلى جامعة حقيقية: يضم الأساتذة والمدرسين والمعيدون والطلاب، ويجري فيه العمل العلمي على نظام علمي كامل، ترعاه وتتفق عليه الدولة حسب نظام مقرر مرسوم، واتسع الجامع - تبعاً لذلك - فقامت فيه الأروقة والزيادات المختلفة حتى وصل إلى حجمه الحالي، وهو يكاد أن يكون مدينة قائمة بذاتها، فقد ضمت ملحقات الجامع التعليمية ما يشبه المدينة الجامعية الكاملة، فهي مكونة من مباني كل منها يسمى رواقات، وقد يضم مبنى الرواق الطلبة الوافدين من نواح مختلفة من مصر أو من العالم الإسلامي، مثل: رواق الاكراد، ورواق الهنود، ورواق البغداديين، والبرنيس (القادمين من البرنو في تشاد الحالية) واليمنية والجبرتيه (جبرت ناحية من نواحي الحبشة)، والسَّارية (نسبة إلى سَّار في السودان)، والجاوية، والشوام، والصعايدة، والشراقوة (نسبة إلى محافظة الشرقية في مصر)، الفيومية والبحاروة، والشفوانية وما إلى ذلك. ولم يكن الطلاب ينامون في هذه الأروقة المنسوبة إليهم، بل كان الرواق اشبه بسكرتارية ومكتبة لهم وخزائن لكتبهم الخاصة، ولهذا نجد أيضاً رواقاً خاصاً بالحنابلة وآخر للحنفية، والمراد الطلاب الذين يدرسون فقه هذين المذاهبين.

وأشهر هذه الأروقة الرواق العباسي، وهو حديث بني في عهد خديوي مصر عباس حلمي الذي تولى الخديوية حتى سنة 1914 وقد افتتح في شوال 1315-1897 وكان شبيهاً بإدارة عامة للأزهر، فكان يضم مقررًا لمجلس إدارة

الأزهر ومشيعته ومكتبته وطيبه ومحفوظاته، وكانت فيه أيضاً بعض أروقة للطلاب. ومبنى الرواق العباسي قطعة من العمارة والفن الاسلاميين في أواخر العصر التركي.

أما الطلاب الغرباء فكانوا يسكنون في حارات حول الأزهر خصصت لهم وعددها ثلاث عشرة، مثل: حارة العفيفي والزرافة والبشاشة والسليمانية والجيزاوية والزهار والمناصرة، وما إليها.

وقد كان عدد عظيم ممن قاموا بالنهضة الفكرية في مصر والعالم العربي من طلاب الأزهر، وهم كثيرون جداً، لكننا سوف نذكر نفراً منهم مثل: عبد الرحمن الجبرتي ورفاعة رافع الطهطاوي، وعلي مبارك، ومحمد عبده، وسعد زغلول، ورشيد رضا، وعبد الله النديم، وطه حسين ومصطفى لطفى المنفلوطي، وأحمد حسن الزيات، وعلي عبد الرازق ومصطفى عبد الرازق، ومحمد مصطفى المراغي.

وفي سنة 1961 دخل الأزهر في طور جديد من تاريخه، إذ صدر القانون الذي حوله الى جامعة حديثة تحتفظ في الوقت نفسه بالدراسات التقليدية للأزهر، وهي دراسات الإسلام واللغة العربية. وأنشئت له الكليات الحديثة وتضاعف عدد طلابه، حتى أصبح مؤسسة دينية علمية فريدة في بابها من كل وجه.

ولا يضارع الأزهر معهد آخر في الدنيا، في الخدمات العلمية التي قام بها منذ إنشائه قبل نصف وألف سنة الى اليوم، فقد كانت وفود الطلبة تقبل عليه من أركان الدنيا كلها، فيجاءون في الأزهر ثم يعودون إلى بلادهم شيوخاً يقومون بدورهم بإنشاء المعاهد الدينية الإسلامية في بلادهم، وحيثما نزلت في العالم الاسلامي وجدت الأزهريين، من أقصى الفيلبيين الى المحيط الأطلسي وقلب إفريقية. وإلى الأزهر يعود جانب كبير من الفضل فيما تمتعت به مصر على مر العصور كمركز من مراكز العلم والعرفان في الدنيا.

الحواشي:

- (1) وقد عرف جامع عمرو بعدة أسماء أخرى منها الجامع العتيق، وجامع مصر، ومسجد اهل الراية وغيرها.
- (2) المقرئ، خطط المقرئ، ج 4، ص 4 (الطبعة الاهلية)؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 2، ص 149.
- (3) المقرئ، المصدر ذاته، ج 1 ص 132، ج 4، ص 16 و 43؛ الفلقشندي، صبح الاعشى، ج 3، ص 487.
- (4) المقرئ، نفس المصدر، ج 4، ص 20 و 21.
- (5) المقرئ، مصدر سابق، ج 2، ص 179.
- (6) راجع الخطط للمقرئ ج 2 ص 392,342,290,181,180؛ ابن خلكان، ترجمة القائد جوهر، ج 1، ص 149 (القرن السابع الهجري).
- (7) للمزيد من التفاصيل عن اجزاء الجامع أنظر: حسن عبد الوهاب، المساجد المصرية؛ د. سعد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون.
- (8) الفلقشندي، صبح الاعشى (عن المستجى) ج 3 ص 367؛ المقرئ الخطط، ج 4 ص 49.
- (9) عبد اللطيف البغدادي، الافادة والاعتبار، ص 20، القاهرة 1286 هـ.
- (10) ابن اياس، بدائع الزهور، ج 1 ص 83.

- (11) ابن اياس، نفس المصدر، ج 1 ص 82.
- (12) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2 ص 558.
- (13) السيوطي، حسن المحاضرة، ج 1 ص 241.
- (14) رحلة ابن بطوطة (القاهرة) ص 25.
- (15) و(16) السيوطي، المصدر ذاته، ج 1 ص 258-262.
- (17) السخاوي، التبر المسبوك، ص 131 و231.
- (18) التعريف بأبن خلدون (لجنة التأليف والترجمة سنة 1951) ص 248.
- (19) تاريخ الجبرتي ج 1 ص 401.
- (20) المصدر ذاته للجبرتي ج 2، ص 262 و274.
- (21) المقرئزي عن ابن زولاقي في اتعاظ الحنفا ص 92.
- (23) الفلقشندي، صبح الاعشى، ج 3 ص 487-503.
- (23) الفلقشندي، نفس المصدر، ج 3، ص 503.
- (24) المقرئزي الخطط، ج 2 ص 181-354.
- (25) راجع المقرئزي، الخطط، ج 4 ص 294؛ السيوطي، حسن المحاضرة ج 1 ص 182.

لائحة المصادر والمراجع

- (1) المقرئزي - كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
- اتعاظ الحنفاء بأخبار الائمة الخلفاء
- السلوك في دول الملوك.
- (2) ابن خلكان، وفيات الأعيان.
- (3) ابن أياس بدائع الزهور.
- (4) الفلقشندي، صبح الاعشى.
- (5) السبكي، طبقات الشافعية.
- (6) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.
- (7) السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة.
- (8) الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والاخبار.
- (9) المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر.
- (10) علي باشا مبارك، الخطط التوفيقية.
- (11) عبد الرحمن الرافعي - تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر.
- عصر اسماعيل.
- (12) مصطفى بيرم، تاريخ الجامع الأزهر.

-
- (13) محمد عبد الله عنان - الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية - تاريخ الجامع الأزهر.
- (14) حسن عبد الوهاب، المساجد المصرية.
- (15) سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ج 1.
- (16) علي عبد الحكيم محمود، المسجد وأثره في المجتمع الاسلامي.
- (17) احمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها المدخل القاهرة 1961.
- (18) د. حسن ابراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية.
- (19) د. حسين مؤنس، المساجد، عالم المعرفة رقم 37 لكـ 1981.
- (20) محمد توفيق بليغ، المسجد في الاسلام، عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الثاني 1979.